المحاضرة رقم 09: الحركة الوطنية (التيار الإصلاحي، والتيار الشيوعي).

✓ **التيار الإصلاحي:**

- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

L'Association des Oulemas Musulmans Algérienn.

- عوامل ظهور الجمعية:

1- الخارجية: تأثير شخصيات قومية وفكرية من المشرق العربي، أمثال: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده ... إلخ.

- كان لمؤلفات المصلحين الدينيين تأثير في نمو الفكر الإصلاحي في الجزائر، منها مؤلفات ابن تيمية، ابن القيم الجوزية، مجلة المنار لرشيد رضا... إلخ.

- تأثيرات الحرب العالمية الأولى التي ساهمت في تبلور الوعي الوطني، وذلك من خلال تجنيد الجزائريين فيها، وإحتكاكهم فكريا بأفكار جديدة.

- التنظيمات السياسية الأوروبية ومدى تأثيرها على العلماء المصلحين.

2- الداخلية: جهود ابن باديس في نشر التعليم بعد عودته من المشرق (جامع الزيتونة) بين أبناء الجزائر.

- ظهور صحف أهلية في القرن العشرين، كجريدة المنتقد سنة 1925، والشهاب سنة 1925.

- بروز نخبة مثقفة بالثقافة الفرنسية (حركة الشبان الجزائريين) نادوا بفكرة الإدماج في المجتمع الفرنسي.

- إحتفال فرنسا بالذكرى المئوية لإحتلال الجزائر 1830-1930.

- فكرة الجمعية ونشأتها: إلتقى عبد الحميد بن باديس الشيخ البشير الإبراهيمي في المدينة المنورة في حج عام 1913، وإتفقا أنهما حينما يعودان إلى الجزائر سوف يشرعان في حركة علمية، وبعد رجوع بن باديس إلى الجزائر زار الشيخ البشير الإبراهيمي من أجل أن يجسدا معا الفكرة التي بدءاها في الحجاز، وفي هذا الصدد يقول البشير الإبراهيمي: "زارني الأخ الأستاذ عبد الحميد بن باديس وأنا بمدينة سطيف زيارة مستعجلة في سنة أربع وعشرين ميلادية (1924)، وأخبرني أنه عقد العزم على تأسيس جمعية باسم الإخاء العلمي يكون مركزها مدينة قسنطينة، وتكون خاصة بعمالتها".

ولقد إختلفت آراء دعاة الإصلاح في البداية حول تسمية الجمعية، منهم من دعا إلى تأسيس جمعية الشبان المسلمين، ومنهم من دعا إلى تأسيس جمعية إخوان العلم، وذلك إلى غاية أن تأسست لجنة تحضيرية بالجزائر العاصمة تحت نظر عمر إسماعيل والأستاذ توفيق المدني، ودعت إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث قامت هذه اللجنة بتهيئة الإجتماع التأسيسي الأول بنادي الترقي يوم 5 ماي 1931، وبالفعل وطبقا لقانون الجمعيات الفرنسي المؤرخ في 1 جويلية 1901، تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم 5 ماي 1931، وذلك بحضور 72 عالم وطالب علم، وانتخب ابن باديس رئيسا للجمعية (كان غائبا)، والشيخ البشير الإبراهيمي نائبا له، والأمين العمودي كاتبا عاما، والطيب العقبي مساعدا له، ومبارك الميلي أمين المال، وإبراهيم بيوض مساعدا له، وتم وضع القانون الأساسي للجمعية في هذا الإجتماع التأسيسي، إذ جاء في الفصل الثالث من هذا القانون ما يلي: " لا يسوغ لهذه الجمعية بأي حال من الأحوال أن تخوض أو تتداخل في المسائل السياسية"، وهذا ما دفع بالسلطة الفرنسية إلى الموافقة على تأسيس هذه الجمعية.

- مبادئ وأهداف الجمعية:

ـ مبادئها:

ـ وضع أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مبادئ ساروا عليها للوصول إلى أهدافهم التي سخروا لها كل الوسائل من أجل تحقيقها، وتتلخص مبادئ الجمعية في شعار ابن باديس: "الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا".

ـ وكذلك لخص عبد الحميد بن باديس مبادئ الجمعية بقوله:"القرآن إمامنا، السنة سبيلنا، السلف الصالح قدوتنا، خدمة الإسلام والمسلمين وإيصال الخير لجميع السكان غايتنا".

ـ أهدافها: إختلفت نظرة الكتاب إلى أهداف الجمعية بإختلاف إتجاهاتهم وإنتماءاتهم، فبعضهم قصرها على: التعليم العربي، ومحاربة الخرافات، وتصفية الإسلام وتنقيته من الشوائب، وبعضهم قرنها بالنشاط السياسي ومعاداة الإستعمار.

ولو نعود إلى القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، نجد أن الجمعية حددت هدفها في الفصل الرابع من القانون، بقولها:" القصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الإجتماعية كالخمر والميسر، والبطالة والجهل، وكل ما يحرمه صريح الشرع، وينكره العقل، وتحجره القوانين الجاري بها العمل".

كما ذكر عبد الحميد بن باديس أهداف الجمعية في عدة خطابات، منها قوله:"أن غاية الجمعية هي إصلاح الفاسد وتقويم المعوج، وإرشاد الضال، وإصلاح شؤون أهل العلم"، وقال أيضا:" أن غايتها هي محاربة الخرافات والشعودة التي عمت البلاد نتيجة أعمال الطرقيين".

ـ نشاطات الجمعية:

ـ الصحافة: حيث أنشأت عدة صحف منها: جريدة السنة النبوية 1933، وجريدة الشريعة النبوية المحمدية 1933، جريدة الصراط السوي 1933، ثم أسست بعدهم بسنتين جريدة البصائر 1935.

ـ التربية والتعليم: كان المظهر الرئيسي لنشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على المستوى التربوي والتعليمي هو تأسيس المدارس التي لم تكن تحت سيطرة الفرنسيين، وكانت أغلبها مدارس إبتدائية لتعليم الأطفال الصغار نهارا، والكهول ليلا، وتستغرق الدراسة في المدارس الإبتدائية 6 سنوات، وتتكون من 3 أقسام: القسم التحضيري، الإبتدائي، المتوسط، وكل قسم مدته سنتان، ومن مدارسها: مدرسة الحديث بتلمسان، مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، مدرسة خديجة أم المؤمنين بسكيكدة، مدرسة الحياة بجيجل.

ـ المساجد: إهتمت الجمعية بتأسيس المساجد، وقد كانت تأدي دورين ديني وتعليمي، ومن أشهرها: الجامع الأخضر، وجامع سيدي قموش بقسنطينة.

ـ النوادي: إهتمت الجمعية بتأسيس النوادي لغاية تنظيم الفئة الشبانية في منظمات رياضية وثقافية مختلفة أهمها: نادي الترقي أسس عام 1925.

ـ موقف السلطة الفرنسية من الجمعية: لم يكن سهلا على الجمعية تحقيق كل هذا في ظل الظرف الإستعماري الذي كانت تعيشه الجزائر، فالجمعية دخلت في صراع مرير مع السلطة الفرنسية، هذه الأخيرة سارعت إلى غلق المساجد والمدارس والكتاتيب القرآنية، ولاحقت المدرسين، وذلك بإصدار مجموعة قرارات، منها:

ـ قرار 1932 القاضي بمنع فتح مدرسة حرة إلا بموافقة السلطة الفرنسية.

ـ منشور ميشال سنة 1933 الذي يمنع الخطابة والتعليم في المساجد إلا للموظفين الرسميين.

ـ كما أصدرت السلطة الفرنسية قرار آخر في مارس 1938 من أجل وضع عقبات في وجه تعليم اللغة العربية.

ـ موقف الطرق الصوفية من الجمعية: أسسوا جمعية مضادة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي: جمعية السنة.

وبعد صدور قانون العفو العام سنة 1946 وخروج البشير الإبراهيمي من السجن، استأنف نشاط الجمعية، وذلك عن طريق التركيز على زيادة بناء المدارس الحرة في مختلف المدن والقرى، وكذلك بناء المساجد، كما أنها دعت إلى مواصلة نشر اللغة العربية، وتطهير الدين الإسلامي من الانحرافات والخرافات.... وفي سنة 1947 أسس معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، واستأنف إصدار جريدة البصائر في سلسلتها الثانية في نفس السنة 1947، وما يلاحظ على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنها لم تغير أهدافها وبرامج عملها بعد 1946، حيث ظلت تأكد على الاعتراف باللغة العربية، واحترام الدين الإسلامي وفصله عن الدولة، ومحاربة الطرقية.

✓ **التيار الشيوعي:**

- الحزب الشيوعي الجزائري.

Le Parti Communiste Algérien .

- تأسيس الحزب الشيوعي الجزائري:

ترجع دوافع إنضمام الجزائريين إلى الحزب الشيوعي الفرنسي إلى الأفكار الأممية الشيوعية المتمثلة أساسا في مساعدة حركات التحرر القومي-الثوري، وكذا بسبب النداء الذي أطلقته الأممية الشيوعية في 20 أوت 1922 لتحرير الجزائر وتونس، وبحلول عام 1924 أنشأت الفدرالية الشيوعية الجزائرية، بعد أن تطور الشيوعيون الجزائريون تطورا ظاهرا فيما يتعلق بالنظرة الإستقلالية.

ويرجع بعض الكتاب، ومنهم أبو القاسم سعد الله سبب إنضمام الجزائريين إلى الحزب الشيوعي والأممية الشيوعية العالمية إلى "الأمية"، حيث يقول:" أن الأفكار الإيديولجية الأوروبية وجدت طريقها بسهولة للتغلغل في أوساط الجزائريين، لأن معظمهم كانوا أُمّيّين، والشيوعيون قد إستغلوا العواطف الدينية والصراع الطبقي بينهم".

تقرر التأسيس الفعلي للحزب الشيوعي الجزائري في المؤتمر التأسيسي الذي انعقد بالجزائر العاصمة يومي 17 و18 أكتوبر 1936، إلا أنه بقي خاضعا لتوجيهات الحزب الشيوعي الفرنسي، وكان هذا الحزب يتكون من الأوروبيين والجزائريين، إلا أنه لم يلقي أي تجاوب من طرف الفئات الشعبية الجزائرية، وهذا راجع إلى عدم تقبلهم لفكرة الشيوعية المتعارضة مع العقيدة الإسلامية، كما أن الحزب الشيوعي الجزائري لم تكن له نظرة واضحة فيما يتعلق بالمسألة الوطنية.

- جرائد الحزب الشيوعي الجزائري:

- جريدة La Lutte Soçial (الكفاح الإجتماعي).
- جريدة La Liberté (الحرية).
- جريدة Alger Républicain (الجزائر الجمهورية).
- جريدة L'Algérie Nouvelle (الجزائر الجديدة).

- مبادئ الحزب والدعائم التي إرتكز عليها:

- المطالبة بالمساواة في الحقوق بين الجزائريين والفرنسيين.
- المطالبة بجنسية مزدوجة (جزائرية فرنسية).
- تكوين برلمان جزائري بمفهوم الحزب الشيوعي له الحق في التشريع، ويتشكل بالتساوي من ستين نائب جزائري و60 نائب فرنسي.
- أن تكون اللغتين الفرنسية والعربية رسميتين في الجزائر.
- فصل الدين عن الدولة.
- المساواة في الحقوق السياسية والنقابية بين الأهالي والأوروبيين.

- طالبوا برفع أجور العمال، وتحديد مدة العمل بثمانية (08) ساعات في اليوم.
- طالبوا بوضع حد لنزع الملكية ومصادرة الأراضي وإلغاء الضرائب.

من كل هذه المطالب نلاحظ أن الحزب الشيوعي الجزائري كان بعيدا عن مطلب الإستقلال الوطني، وركز على تحرير العامل والفلاح من إستبداد البرجوازية، ومطالب أخرى تخدم أساسا فكرة الإرتباط مع فرنسا والمحافظة على مصالحها في الجزائر، وهذا ربما ما جعل القاعدة الشعبية لهذا الحزب ضيقة.

وقد عُرف الحزب الشيوعي الجزائري بمعاداته لمطالب الحركة الوطنية إلى غاية سنة 1945، هذا بالإضافة إلى تأكيده على سياسة الإدماج مع فرنسا، كل هذا جعل قاعدته ضيقة في أوساط الشعب الجزائري، ولم ينتبه الحزب إلى عواقب مواقفه المعادية للحركة الوطنية إلا بعد مجازر 8 ماي 1945، إذ لجأ إلى سياسة جديدة تقربه من أحزاب الحركة الوطنية الجزائرية، وذلك بالقيام بحملة مكثفة هدفها تحرير جميع الجزائريين المسجونين جراء مجازر 8 ماي، وصادقت عليه الجمعية التأسيسية الفرنسية، كما قام الشيوعيون بتغيير تسمية حزبهم إلى أصحاب الديمقراطية والحرية، وأدان سياسة الإدماج، وأيد فكرة فرحات عباس القائلة بتكوين جمهورية جزائرية مستقلة، ومرتبطة فدراليا بفرنسا، وهنا حدث تقارب بين الشيوعيين والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وبالرغم من كل هذا نجد أن الحزب الشيوعي لم يغير في برنامجه وإيديولوجيته القائمة على عدم الاعتراف بالكيان الجزائري، ورفضه الاستقلال التام، وأن كل ما قام به هو عبارة عن سياسة لإعادة الاعتبار للحزب.